الفتوّة[١] فى الأصل مفهوم خلقى يتضمن جميع الخصال التى يُنتظر أن يتخلى بها فتى من الفتيان فى جزيرة العرب (والفتى هنا الرجل المهذب الكامل Gentilhomme parfait) . والصفتان اللتان تجمعهما الفتوة هما السخاء وحب القِرى ، من ناحية ، والشجاعة من ناحية أخرى وكلتاهما ينبغى أن تبلغا حد الإفراط : فالأولى حتى الإملاق والثانية حتى الجود بالنفس .

وقد كان للفتوة فى الإسلام تاريخ غنى . فقد فهم منها الصوفيون ، من ناحية ، أنها الإيثار altruisme بكل معانيه . وكانت المفهوم الأساسى للأخلاق الصوفية ، ولو على الأقل ، فيما يتعلق بالصلات بالأقربين[٢] . ومن ناحية ثانية صارت ظاهرة إجتماعية تدل على فئة من الرجال يتدربون على خصائل الفتوة ويطبقونها[٣] . فاتسع مفهوم الفتوة أثناء تطوره هذا . فالحرية والضيافة أصبحتا ، أحياناً ، دعارة . والشجاعة أصبحت ميلا للمخاصمة . وأصبح للفتوة مجموعة من الرسوم لم يخل بعد عن مصدرها بوضوح فكان يستقبل الشاب فى نقابة الفتوة بشد خصره بفوطة أو محزم وبالباسه لباس الفتوة الذى يمتاز بالسراويل ، وبسقيه فى كأس الفتوة الماء المشوب بالملح .

وشاركت نقابات الفتوة فى الجهاد . وفى مقاتلة الكفار والهراطقة . فكنت تجدهم على حدود المملكة الإسلامية فيما وراء النهر Transoxanie ، وعلى ثغور الجزيرة والشام . وكان لهم إلى ذلك نصيب فى المنازعات الداخلية فى الإسلام أيضاً . وموقفهم فى هذه المنازعات ليس واضحاً كل الوضوح .

---

(١) انظر مقالة « فتوة Futuwa » التى كتبها الأستاذ C. Van Arendouk فى دائرة المعارف الإسلامية . والمادة نفسها لبشر فارس فى ذيل دائرة المعارف .

(1) Franz Taeschner, *Der Anteil des Sufismus an der Formung des Futuwwaldeals dans* : Der Islam 24, 1937, p. 43-74.

(2) Franz Taeschner; *Die islamischen Futuwwabünde, Das Problem ihrer Entsehung und die Grundlinien ihrer Geschichte* dans : Zeifschrift der Deutschen Morgenländischen Gesollschaft 87, 1933, p. 6-49.

ويخيل أنه كان فى نفوس الفتيان حرمة خاصة لعلى ابن أبى طالب صهر النبى ورابع الخلفاء الراشدين . فقد كان فى نظرهم المثل الأعلى للفتى ، للحديث المأثور « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على » . ولكن ذلك لا يستلزم صفة التشيع ، فقد كان تكريم على منتشراً فى بعض أوساط أهل السنة . ويحدثنا الكاتب الرحالة ابن جبير (المتوفى سنة ٦١٤ هـ ١٢١٧ م) عن طائفة من الدماشقة يمتنقون الفتوة ويسمون بالبنوية كانوا يقاتلون الشيعة المغالين (الإسماعيلية) الذين أطلق عليهم اسم « الحشاشين » فى أدب الحروب الصليبية . فبعد أن يذكر ابن جبير بمناسبة وصفه دمشق (وكان فيها فى ربيع الثانى سنة ٥٨٠ هـ تموز ١١٨٤ م) خبر هؤلاء الشيعة المغالين يقول(١) :

« وسلط الله على هذه الرافضة طائفة تعرف بالبنوة ، سنيون يدينون بالفتوة وبأمور الرجولة كلها . وكل من ألحقوه بهم لخصلة يرونها فيه يحزمونه السراويل فيلحقوه بهم ، ولا يرون أن يستعدى أحد منهم فى نازلة تنزل به ، لهم فى ذلك مذاهب عجيبه ، وإذا أقسم أحدهم بالفتوة بر قسمه . وهم يقتلون هؤلاء الروافض أينما وجدوهم . وشأنهم عجيب فى الأنفة والائتلاف » .

أضف إلى ذلك أن نقابات الفتوة كان تتولد فى المدن الكبرى فيكون لها فيها سلطان وشأن . وكانت تستخدم هذا السلطان بلا ترو فتروع الأهالى . مما دعى إلى تسميتهم « بالعيارين brigands, Vagabonds» . وفى بغداد خاصة أحدث هؤلاء مرات عديدة فتناً وقلاقل . وأدى ذلك إلى اضطراب بغداد فى السنوات التى امتدت بين ٥٢٩ هـ و ٥٣٩/١١٣٥ — ١١٤٤ ، فى ظل النظام الإرهابى الذى أقامه العيارون .

ويصف لنا ابن الجوزى الواعظ البغدادى المشهور (المتوفى سنة ٥٧٩ هـ

(١) رحلة ابن جبير (الطبعة الثانية ، ليدن ولندن ١٩٠٧ (دغويه) ص ٢٨٠ سطر ١٠ وما بعده .

١٢٠٠ م) هؤلاء العيارين فى ذلك العصر وصفاً يبين فيه محاسنهم ومساوئهم فيقول[١] :

« العيارون يسمون بالفتيان ويقولون الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة . ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس . ويسمون طريقتهم الفتوة . وربما حلف أحد بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب . ويجعلون إلباس السراويل للداخل فى مذهبهم كإلباس الصوفية المريد المرقعة . وربما سمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة زور لا تصح ، وربما كانت من مغرض فقتلها . ويدعون أن هذه فتوة ، وربما أفتخر أحدهم بالصبر على الضرب . »

* * *

ونحن نعلم أن الخليفة العباسى الناصر لدين الله (الذى حكم فى سنة ٥٧٥ إلى سنة ٦٢٢/١١٨٠ — ١٢٢٥ م) اهتم بالفتوة وأعاد إصلاحها وتنظيمها ،[٢] بعد أن ألبسه فى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ — ٨٣ م الشيخ عبد الجبار بن صالح البغدادى لباس الفتوة[٣] . ونجد أخباراً قصيرة فى هذا الشأن عند المؤرخين العرب وعند كتاب غيرهم . نذكر مثلا ما قاله ابن المعمار كاتب الفتوة الذى سنتحدث عنه بعد قليل .

(١) ابن الجوزى ، الناموس فى تلبيس إبليس . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٤٠ ، ص ٤٢١ والطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٣٩٢ .

(1) Franz Taeschner, *Islamisches Ordensrittertum zur Zeit der Kreuzzüge* dans : *Die Welt als Geschichte* 4, 1938, p. 383-408 : le même, *Das Futuwwa-Rittertum des islamischen Mittelalters* dans : *Beiträge zur Arabistik, Semitistik und Islamwissenschaft,* Leipzig 1944, p. 340-385.

وانظر مصطفى جواد . الفتوة والفتيان قديما . فى مجلة لغة العرب . المجلد ٨ ، ١٩٣٨ ص ٢٤١ — ٢٤٩ .

(٣) كاتب چلبى (حاجى خليفة) ، تقويم التواريخ (١٠٥٨ هـ — ١٦٤٨ م) استانبول ١١٤٦ ص ٧٣ ، ٢١ وما بعدها ، ويقول :

پوشيدن ناصر خليفة لباس فتوة را از شيخ عبد الجبار .

أما تاريخ لباس الخليفة سروال الفتوة فلم أجده فى مصدر آخر الا عند كاتب چلبى ، وهو متأخر (١٠١٧ — ١٠٦٧ / ١٦٥٧ — ١٦٠٩) .

فقد أخبرنا عن الفتوة قبل أن يتعهدها الناصر برعايته ، ويصف الظروف التى أدت إلى إصلاح الخليفة . فيقول[١] :

« ولم تزل الفتوة تنقل (يعنى عن على بن أبى طالب) وهلم جرا إلى عصرنا هذا حتى تفرعت وصارت بيوتاً وأحزاباً وقبائل كالرهاصية والشحينية والخليلية واللدية والنبوية لما حدث بينهم من الاختلاف . . . فلما انتهى ذلك إلى عصر سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنعم نظره التام وخصه الكامل فى النسب واختار كبيراً فى الفتوة الشيخ الصالح الزاهد العابد السعيد عبد الجبار بن صالح البغدادى رحمة الله عليه لما كان عليه فى الحقيقة من حسن السيرة والطريقة . . . أحيى سننها ومعالمها . . . فجمع ما تشتت من نظامها وشيد ما تعطل فى أحكامها ، واقتدى به فى ذلك زعماء البلاد والخواص فى العباد ، وما فتأ الناس على نهجة مهتدين وبفتوته متمسكين » .

ويتحدث الخرتبرتى ، وهو كاتب آخر عنى بالفتوة ، عن ذلك فيقول بعبارات مجحة[٢] :

« شيد بنيانها ومهد أركانها وألف أحزابها وأرشد طلابها وأظهر أنوارها وأوضح برهانها . فبطلت البيوت إلا ما شيده وبناه وتعطلت تلك المعاقل إلا ما اختاره واصطفاه » .

ويذكر ابن الساعى المؤرخ البغدادى فى حوادث سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ مايلى[٣] :

---

(١) كتاب الفتوة لابن المعمار (انظر فيما بعد ص ١٩٥) ، مخطوطة فى مكتبة جامعة توبنجن ma 137 ورقة ١٠ آ — ١١ آ . وانظر أيضاً :

P. Kahle dans : *Festschrift Georg Jacob,* Leipzig 1932, p. 113 sq.) et Iv sq.

(٢) تحفة الوصايا للخرتبرتى (انظر فيما بعد ص) ، مخطوطة استانبول ، أيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ورقة ١٠٨ آ .

(٣) ابن الساعى . الجامع المختصر . الجزء التاسع ، بغداد ١٩٣٤ ، ص ٢٢١ وانظر ايضاً :

P. Kahle dans : *Festschrift Max Frh. v. Oppenheim,* Berlin 1933, p. 52 sqq.)

« فى هذه السنة أهدرت الفتوة القديمة ، وجُعل أمير المؤمنين الناصر لدين الله رضى الله عنه القبلة فى ذلك والرجوع إليه فيه . وقد شرف عبد الجبار بالفتوة إليه . وكان شيخاً متزهداً ، فدخل فى ذلك الناس كافة من الخاص والعام ، وسأل ملوك الأطراف الفتوة فنفذ إليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة ، وانتشر ذلك ببغداد وبفتى الأصاغر إلى الأكابر » .

ويبين لنا ابن الأثير بعض وجوه الإصلاح فى الفتوة فيقول[١] :

« وجعل همة فى رمى البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة . فبطل الفتوة فى البلاد جميعها إلا فى يلبس منه سراويل يدعى إليه . ولبس كثير فى الملوك سراويلات الفتوة ، وكذلك أيضاً منع الطيور المناسيب لغيره إلا ما يؤخذ من طيوره ، ومنع الرمى بالبندق إلا من ينتهى إليه » .

ويوجز ابن الطقطقى فى ذكر ذلك فيقول :[٢]

« ولبس لباس الفتوة وألبسه ، وتفتى له خلق كثيرون فى شرق الأرض وغربها ورمى بالبندق ، ورمى له ناس كثيرون » .

ونجد فى تاريخ أبى الفداء ما يلى :[٣]

« وكان منصرف الهمة إلى رمى البندق والطيور المناسيب ، ويلبس سراويلات الفتوة ، ومنع رمى البندق إلا من ينسب إليه » .

ويضيف هؤلاء المؤرخون هذه الاقصوصة الطريفة وهى على ما وردت فى ابن الأثير :

---

(١) ابن الأثير ، كتاب الكامل فى التاريخ . طبعة Tornberg ، الجزء ١٢ ص ٢٨٦ ، ١ ، ٣ فى الأسفل = وطبعة القاهرة ١٣٠٣ ، ص ١٦٩ ص ٢٠١ وما بعدها .

(٢) ابن الطقطقى ، كتاب الفخرى . طبعة Ahlwardt ص ٣٧٠ ، ١ ، ٣ فى تحت = طبعة Derenbourg ص ٤٣٤ ، ٢٠١ وما بعدها = طبعة القاهرة ، بلا تاريخ ، ص ٢٣٤ ، ١ ، ١٦٠ وما بعدها .

(٣) أبو الفداء ، تاريخ فى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م . طبعة القاهرة ص ١٣٦ = طبعة استامبول ص ١٤٢ .

« فأجابه الناس بالعراق وغيره إلى ذلك . إلا إنساناً واحداً يقال له ابن السفت في بغداد ، فإنه هرب من العراق ولحق بالشام ، فأرسل إليه يرغبه فى المال الجزيل ليرمى عنه وينسب فى الرمى إليه فلم يفعل ، فبلغنى أن بعض أصدقائه أنكر عليه الامتناع من أخذ المال . فقال يكيفينى فخراً أنه ليس فى الدنيا أحد إلا رمى للخليفة إلا أنا ، فكان غرام الخليفة بهذه الأشياء من أعجب الأمور » .

وهكذا نرى أن الخليفة قد أضاف إلى مفهوم الفتوة التى ركزها بشخصه ، ميله إلى الرياضة وحبه رمى البندق والطيور المناسيب . وكان يأمل بشغفه برمى البندق أن يجمل أمراء الأطراف أكثر تعلقاً بشخصه ، وأن يكون قدوة لهم . ويذكر أبو الفداء هذه الجهود التى قام بها فى حوادث سنة ٦٠٧/١٢١٠ كما يلى[١] :

«وفيها وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتـوة ويلبسوا له سراويلهـا وينتسبوا إليه فى رمى البندق ويجعلوه قدوتهم فيه » .

ويفصل ابن الفرات الأمر فيقول[٢] :

« وكان يميل إلى رمى البندق والطيور المناسيب ولبس سراويلات النبوية والفتوة ، وكانت سائر ملوك الأطراف أن سبقوا إليه فى رمى البندق ، وفى الفتوة . فبطل الفتوة فى البلاد جميعها إلا من لبس منه السراويل ورمى له . فلبس سائر ملوك الآفاق سراويلات الفتوة له وادعوا له فى البندق . ووصل رسوله إلى حماة فى أيام الملك المنصور الأيوبى صاحب حماة وأمره بأن يلبس للخليفة ويلبس الأكابر له . فأمر الملك المنصور صاحب حماة الشيخ سالم بن نصر الله بن واصل الشافعى الحموى

---

(١) أبو الفداء ، تاريخ ، الجزء الثالث ، حوادث سـنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م . طبعة القاهرة ص ١١٣٠ . = طبعة استامبول ، ص ١١٩ . وانظر :
Futuwwa-Rittertum, p. 355, note 26.

(٢) ذكر هذا النص J. v. Hammer-Purgstall فى النصوص المتعلقة بالفتوة عنـد المؤرخين العرب . نشرت فى الجورنال الآسيوية ، المجلد ٦ ، عام ١٨٥٨ ، ص ٢٨٥ ومابعدها.

بعمل خطبة فى الفتوة فعمل خطبة بديعة فى هذا المعنى ، واستشهد بآيات من القرآن العزيز منها قوله تعالى (سمعنا فتى يذكرهم) ، ومنها قوله تعالى (إذ أوى الفتية إلى الكهف) وغير ذلك من الأخبار والآثار . فقرئت هذه الخطبة لحضرة الملك المنصور صاحب حماة والأكابر . وكان قاضى حماة فى ذلك الزمان القاضى برهان الدين أبا اليسر بن موهوب فأمره الملك المنصور بلبس سراويل الفتوة فى المجلس ، فلبسها ولبسها الجماعة » .

ثم يلى ذلك ما جاء فى ابن الأثير عن ابن السفت .

* * *

ولدينا عن هذه الفتوة البلاطية المرتبطة بشخص الخليفة أخبار أخرى فيها تفصيل أوسع وردت فى كتابين ألفا عنها . الأول : كتاب الفتوة الذى ألفه الفقيه الحنبلى أبو عبد الله محمد الشارم (؟) المعروف بابن المعمار . والثانى : كتاب تحفة الوصايا الذى ألفه أحمد بن الياس النقاش الخرتبرتى . أما كتاب ابن المعمار فقد كتب بروح الفقه الإسلامى[1] . وكل ما نعرفه عن نقابات الفتوة قبل الناصر قد أيده هذا الكتاب . وإلى هذا فهو يعلمنا أيضاً أموراً كثيرة عن تنظيم الفتوة وعاداتها . فمنه نعلم أن كل فتى اسمه رفيق، ج رفاق ، وأن بين الرفاق صلات متينة بشكل درجى hierachique ، ونسبة الواحد إلى الآخر يعبر عنها بـ « كبير »

---

(١) انظر :

H. Thorning, *Beiträge zur Kenntnis des islamischen Vereinswesens*, Berlin 1913, p. 45 sqq.,

وهو أول من لفت الأنظار إلى كتاب الفتوة لابن المعمار : ونجد منتخبات منه بالألمانية عند:

P. Kahle, *Die Futuwwa Bündnisse des Chalifen an-Nasir dans* : *Festschrift Georg Jaeob, ed.* par Th. Menzel, Leipzig 1932, p. 112-127

كما أن كتاب ابن المعمار وكتاب الخرتبرتى ألفا أساس رسالة عن الفتوة المسماة :

Das Futuwwa Rittertum dans : *Beiträgezur Arabistik, Semitistik und Islamwissenschaft*' éd. par R. Hartmann et H. Scheel, Leipzig 1944, p. 359 sqq.

و « صغير » أو تستعمل تعابير الأسرة فيقال « أب » و « ابن » . يريدون أن يجعلوا النقابة تشبه الأسرة نفسها . وهذا الترتيب التسلسل فى الفتوة نجده فى سلسلة تنتهى بالشخص الأول الأسطورى للفتوة محمد النبى . والأعضاء المتصلون بصلة النسب القريب يؤلفون «حزباً» ، وبضعة أحزاب تؤلف «بيتاً» ، وعلى رأس كل بيت « زعيم للقوم » وعلى رأس المؤسسة كلها يوجد « نقيب » .

هذه الصورة التى رسمها كتاب ابن المعار عن مؤسسة الفتوة تطابق الحقيقة . فنحن نجدها فى منشور للخليفة الناصر بتاريخ ٩ صفر سنة ٦٠٤ ﻫ ٤ أيلول سنة ١٢٠٧ . وقد حفظة لنا ابن الساعى ، المؤرخ البغدادى ، وحافظ خزانة الخليفة المستنصر ، (توفى ابن الساعى سنة ٦٧٤ ﻫ ١٢٧٥ م)[١] . فعلى أثر فتنة دامية ثارت بين أفراد حزبين من أحزاب الفتوة عمد الخليفة فى هذا المنشور إلى اتخاذ تدابير شديدة لمنع أشباه تلك الفتن ، لأنه رئيس الفتوة . وكلا النصين ، نص ابن المعار ومنشور الخليفة مرتبطان جداً .

أما الكتاب الثانى الذى ألفه الخرتبرتى فقد ألف لابن الخليفة الناصر الملك المعظم أبى المحاسن على المتوفى سنة ٦١٢ ﻫ ١٢١٦ م . وقد وضع هذا الكتاب ، على عكس كتاب ابن المعار ، بروح صوفية بحتة[٢] . وينتج عن هذين الكتابين بوضوح أن الاستقبال فى النقابة كان يجرى بنظام خاص . فهو يتألف من « الشد » ، و « الشرب » من « كأس الفتوة » الملأى بالماء الملح ، ولبس « لباس الفتوة

---

(١) تاج الدين على بن أنجب ابن الساعى ، الجامع المختصر . طبعة مصطفى جواد والأب انستاس مارى بغداد ١٩٣٤ ، ص ٢٢١ وما يليها . وانظر أيضاً :

P. Kahle, *Ein Futuwwa-Erab des Kalifen en-Nāsir aus dem Jahre 604 (1207)* dans : *Festschrift Max Frh. v. Oppenheim* (Beiheft I du Archiv für Orientforschung), Berlin 1933, p. 52-58.

(٢) عن تحفة الوصايا للخرتبرتى انظر :

Taeschner, *Futuwwa-Studien* 1 dans : *Islamica* 5, 1932, p. 285 sqq., spéciellement 294 sqq. et 314 sqq., et *Der Islam* 24, 1927, p. 65 sqq.

الذى كان أهم ما يميزه « السراويل » . ونجد حفلة الاستقبال موصوفة فى كتاب الخرتبرتى ، فالاستقبال يجرى على مرحلتين : فنى الأولى يتم الشد وبه يصبح « الطالب » « مريداً » وفى المرحلة الثانية التى تسمى « التكميل » عند ابن العمار والتكفية عند الخرتبرتى يستطيع المريد المشدود أن يلبس لباس الفتوة .

أما العمل الرياضى والرمى بالبندق وتربية الطيور المناسيب — التى يذكر المؤرخون صلتها باستقبال الفتوة ، على طريقة الناصر — فلا يتحدث عنها الكتابان المذكوران ، ولا شك أنها كانت هواية خاصة عند الخليفة ، وكان يستخدمها ليحمل أمراء العالم الإسلامى على قبول لباس الفتوة من يده .

ويؤكد المؤرخون ، ويكملون بذلك كتب الفتوة ، بأن الفتوة كانت منفصلة تماماً عن الحركة العلوية . وقد كانت سلسلة الفتوة تنتهى بعلى ، مارة بسلمان الفارسى . ويذكر الناصر فى منشور سنة ١٢٠٧ أن علياً كرم الله وجهه « هو أصل الفتوة ومنبعها »[١] ولكن بما أن لأبى بكر مكاناً مكرماً فى جميع كتابات الفتوة فلا يمكن البتة أن ينسب إلى التشيع هذا الموقف العلوى . أما الخليفة الناصر نفسه فيزعم المؤرخون أنه كان « ميالا إلى الشيعة »[٢] وأنه كان أمامياً أى متبعاً الأئمة الاثنى عشرية[٣] ، وأنه يمكن أن نجد الدليل على ذلك فى بناء الناصر للشيعة فى سامرا مقر الخلفاء القديم على دجلة ، زاوية فى أكبر زوايا الشيعة ، تسمى غيبة المهدى[٤] . على أن هذا الأمر لم يتجاوز العطف المهذب نحو العلويين أو الشيعة .

ويحدثنا ابن الفوطى عن علوى اسمه جلال الدين عبد الله بن المختار (توفى

(١) انظر Paul Kahle ، المصدر المذكور سابقا .

(٢) أبو الفداء ، تاريخ ، الجزء الثالث ، فى سنة ٦٢٢ . طبعة القاهرة سنة ١٣٢٥ ، ص ١٣٦ = طبعة استامبول سنة ١٢٨٦ ، ص ١٤٢ .

(٣) ابن الطقطقى ، كتاب الفخرى . طبعة Derenbourg ، ص ٣٣٣ = وطبعة Ahlwardt ، ٣٧٠ .

(٤) انظر *Futuwwa-Rittertum*, S. 373, note 68 .

سنة ٦٦٤ هـ — ١٢٤٨ م) كان يساعد الخليفة فى جهوده وينعم بمنزلة كبيرة عنده « وكان يحضر عند الخليفة الناصر فى رمى البندق والفتوة ولعب الحمام . وكان يفتى فيه ويرجع إلى قوله » (١)

فهذا النص يحمل على الظن أن هذا العلوى قد شارك فى وضع قوانين الفتوة كالتى نجدها فى كتاب ابن المعمار .

ثم يتابع ابن الفوطى فيقول :

« ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المستنصر بالله : فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين على عليه السلام وأفتى بجواز ذلك فتوجه الخليفة إلى المشهد (يعنى مشهد على) ولبس السراويل عند الضريح الشريف . وكان هو النقيب فى ذلك » .

فعلى هذا قد يكون المستنصر ، حفيد الناصر (٦٢٣ — ٦٤٠ هـ / ١٢٢٦ — ١٢٤٢ م) قد أسس سلسلة جديدة للفتوة تبدأ به وتنتهى بعلى . ولكن يخيل أن هذا الأمر لم يقع لأننا لا نجد ما يدل عليه فى كتب عنه الفتوة فيما بعد .

ولم يكن ابن المختار وحده الذى تولى من العلويين نقابة الفتوة . فقد تولاها أفراد من آل معية . ويذكر ابن عنابة فى تاريخه عن تاج الدين محمد بن معية ما يلى : (٢)

« وكان يتولى إلباس لباس الفتوة ويعتزى إليه أهلها ويحكم بينهم بما يراه

---

(١) ابن الفوطى ، تاريخ الحوادث الجامعة . بغداد ١٩٣٢ ، ص ٢٥٦ وما بعدها . (وانظر أيضا : مصطفى جواد فى : لغة العرب ٨ ، ١٩٣٠ ، ص ٢٤٢ وما بعدها) .

(٢) ابن عنابة ، عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب (تاريخ الأسرة العلوية ، ألف بعد سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٦ م) بومباى ١٣١٨ ، ص ١٥٠ (ذكره يعقوب نعيم سركيس فى مجلة لغة العرب ٨ [١٩٣٠] . وانظر أيضا :

Quatremère, *Histoire des Sultans Mamlouks* I, I, p. 59, note 83).

وعن نقابة للفتوة انظر ما كتبه ماسينيون :

L. Massignon dans : *Wiener Zeitschrift fuür die Kunde des Morgenlandes* 51, 1948, p. 114 sq.

فيطيعون أمره ويمتثلون موسومه (مرسومه ؟) وهذا المنصب ميراث لآل ممية منذ عهد الناصر لدين الله » .

والأمر الذى يجب معرفته الآن هو كيف ينبغى أن يفسر عمل الخليفة الناصر بتبنّيه الفتوة ، أكان ذلك لهواً من الخليفة أو أن الخليفة كان يرمى به إلى هدف سياسى؟ إن المؤرخين لا يذكرون شيئاً ، وكذلك كتب الفتوة لا تفصح عن شىء . غير أن ابن خلدون يبين رأيه فى سياسة الناصر — رغم أنه كان بعيداً عن العصر وأحواله — فيقول : (١)

« وكان مع ذلك كثيراً ما يشتغل برمى البندق واللعب بالحمام المناسيب ، ويلبس سراويل الفتوة ، شأن العيارين من أهل بغداد . وكان له فيها سند إلى على ممن ألبسه إياها . وكان ذلك كله دليلا على هرم الدولة وذهاب الملك عن أهلها بذهاب ملاكها منهم »

فيخيل أن ابن خلدون نظر فى الحقيقة أن سياسة الناصر فى الفتوة كانت لهواً وطيشاً وعد ذلك فى أوقات انحطاط الخلافة العباسية التى مهدت سقوطها .

وما نحسب أن ذلك كان صحيحاً ، نظراً لنشاط الناصر السياسى طوال حكمه الذى دام ٤٥ سنة . لهذا حاولت أن أصل بين سياسة الفتوة ونشاط الخليفة السياسى ، فقد كان هدفه الأول إعادة تنظيم سلطة الخلافة الدينية . لأنى كنت أرى أن الناصر بتركيزه الفتوة فى شخصه ونشرها بين الأمراء فى العالم الإسلامى إنما فعل ذلك لنقصان القوى العسكرية لديه، ثم ليخلق بواسطة هذه التبعية القوية بين أفراد الفتوة حزباً من الأمراء يستطيع أن يسخرهم عند الحاجة لتنفيذ رغباته(٢) أتراه فعل هذا ؟ لم يثبت شىء من ذلك .

---

(١) ابن خلدون ، كتاب العبر ، الجزء الثالث ، بولاق ١٢٨٤ ، ص ٥٣٥ .

(٢) انظر ماسر من دراساتى عن الفتوة فى الحواشى .

Islamisches Ordensrittertum, P. 403 sqq., et *Das Futuwwa-Rittertum,* d . 376 sqq.

ويرى بول ڤيتك P. wittek [1] أن هدف الناصر السياسى الذى حاول الوصول إليه بإعادة تنظيم الفتوة كان دعم الجهاد ، ومقاتلة الصليبيين . ولكن نرى مما ذكره المؤرخون أن الناصر لم يهتم قط بهذه الأمور ، وبعكس ذلك يرى سالنجر g. Salinger أن غرض الناصر من هيمنته على الفتوة كان رقابة النقابات الشاذة التى أثارت فى بغداد خاصة قبل حكمه فتناً وقلاقل استمرت سنين وأرهبت الناس[2] . على أن دخول الخليفة نفسه فى هذه الجماعة هو وسيلة غريبة كما يخيل إلى ، لبلوغ الهدف ، ثم إن الدعاية للفتوة بين أفراد العالم الإسلامى تصبح أمراً يحتاج إلى إيضاح .

* * *

إن سقوط الخلافة العباسية على أثر غزو هولاكو بغداد (٦٥٦ هـ/١٢٥٨) أدى إلى زوال هذا الضرب من الفتوة الخلافية . أو إلى اندثار معالمها شيئاً فشيئاً ولقد أدخل العالم المحيط encyclopediste محمد بن محمود الآملى (القرن الرابع عشر) فصلا عن الفتوة فى كتابه ، فيه تجديد ما كتبه ابن المعار ، ولكن باللغة الفارسية[3] . وليس مؤكداً أن واقع الفتوة يومئذ كما جاء فى ذلك الفصل .

وبعد ما أعاد الملك الظاهر بيبرس الخلافة العباسية إلى مصر فى سنة ٦٥٩ هـ/ ١٢٦١ انتقلت إلى القاهرة معها الفتوة الخلافية . ويذكر المؤرخ النصرانى المفضل

---

(١) انظر :

Paul Wittek, *Deux chapitres de l'histoire des Turcs de Roum, II. Les Ghazis dans l' histoire ottoman*, dans . *Byzantion* 6, 1936, p. 306 sq.

(٢) انظر :

Edward Salinger, *Was the Futūwa an oriental form of chivalry* ? dans : *Proceedings of the American Philosophical Society* 94, 5e Oct. 1950, p. 481 - 493.

(٣) محمد بن محمود الآملى ، نفائس الفنون فى مسائل العيون (ألف بين سنة ٧٣٥ و ٧٤٢ هـ / ١٣٣٤ — ١٣٤١) طهران ، بلا تاريخ (١٣٠٩) الجزء الأول ص ١٩٣ وما بعدها . وانظر :

H. Ritter, *Zur Futuwwa* dans : *Der Islam* 10, 1920, p. 244-250.

ابن أبي الفضائل أن بيبرس لبس قبل دخوله دمشق لباس الفتوة ، ألبسه إياه الخليفة المستنصر بالله الثاني وهذا نصه :[1]

« ثم تجهز الظاهر بيبرس إلى الشام في تاسع عشر رمضان ، ورغب السلطان في لباس الفتوة فألبسه (الخليفة) قبل سفره . ونسبة الفتوة من الإمام علي كرم الله وجهه » .

ويسرد المقريزي هذا الجزء بشكل آخر فيقول :[2]

« وفي يوم عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة ، وصليا صلاة العيد . وحضر الخليفة إلى خيمة السلطان بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة بحضرة الأكابر » .

فلما قتل المستنصر الثاني في حملته الفاشلة على المغول أقام بيبرس أحد العباسيين خليفة باسم الحاكم بأمر الله . وعند وصل إلى القاهرة في سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٣ م رسول ملك القفجاق بركة خان ليخبر السلطان باعتناق ملكه الإسلام اغتنم بيبرس هذه الفرصة وألبس الخليفة لباس الفتوة . ويبين لنا المقريزي ذلك بقوله :[3]

«وفي ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان سأل الملك الظاهر الخليفة الحاكم بأمر الله هل ليس الفتوة من أحد من أهل بيته الطاهرين ، وفي أوليائهم المتقين ، فقال لا ، والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود ، فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة وأن يمنحه ما كان ابن عمه رضي الله عنه افترضه ، ولبس (الخليفة) في الليلة المذكورة بحضور من يعتبر حضوره في مثل ذلك . وباشر اللبس الأتابك

---

(1) E. Blochet, *Moufazzal ibn Abil-fazaîl, Histoire des Sultans Mamlouks* dans : *Patrologia Orientalis* XII, Paris 1919, III, p. 426/(84) ;

وقد نقل النص أيضا زيادة في السلوك . الأول ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ٥٠٩ ، حاشية رقم ٥ .

(٢) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك . نشرة زيادة . الجزء ١ القسم ٢ ، القاهرة ١٩٣٦ ص ٥٠٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٩٥ ، تحت . وانظر أيضا :

Quatremère, *Histoire des Sultans Mamlouks*. I, 1, p. 212.

فارس الدين أقطاى بطريق الوكالة عن السلطان بحق لبسه عن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ولد الإمام الظاهر . . . وحمل السلطان إلى الخليفة من الملابس لأجل ذلك ما يليق بجلاله . » .

وعلى أثر ذلك لبس رسول بركة لباس الفتوة أيضاً .[١]

وقد سار أخلاف بيبرس سيرته ولبسو لباس الفتوة وألبسوه الأمراء المماليك وغيرهم ، ففى سنة ١٢٩٢ ألبس السلطان الأشرف خليل علاء الدين الهكارى ، الأمير الكردى لباس الفتوة . وكتب توقيعاً بذلك .[٢] وكان الأمراء المماليك الفتون يبينون ذلك فى رنوكهم.[٣] أما كيف كان يجرى التفتى أيام المماليك فذلك ما يحدثنا عنه القلقشندى بقوله :[٤]

« اعلم أن طائفة كبيرة من الناس يذهبون إلى إلباس الفتوة ويقيمون لذلك شروطاً وأداباً جارية بينهم ؛ ينسبون ذلك فى الأصل إلى أنه مأخوذ عن الإمام على كرم الله وجهه . — والطريق الجارى عليه أمرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذ الطريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة اجتمع من أهلها من تيسر جمعه وتقدم ذلك الكبير فيلبس ذلك [المريد] ثياباً ، ثم يجعل فى كوز أو نحوه ماء ويخلط

---

(١) ركن الدين بيبرس المنصوري (مات ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) ، زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ، عند :

W. Tiesenhausen, *Sbornik materialov otnosjascichsja k istorii Zolotoj Ordy* (*Recueil de Matériaux relatifs à l' Histoire de la Horde d'or*) I, St. Pétersbourg 1884, p. 78, l. 6 en bas.

(٢) انظر :

Franz Taeschner, *Eine Futuwwa-Urkunde des Mamlukensultans al-Aschraf Chalil von 1292*, dans : Fr. Taeschner und G. Jäschke, *Aus der Geschichte des islamischen Orients (Philosophie und Geschichte* 69), Tübingen 1949. p. 1-15

وتجد النص ، بلا سم ، عند القلقشندى : صبح الأعشى . الجزء الثانى عشر . القاهرة ١٣٣٦/١٩١٨ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٦ . وهناك توقيع آخر فى المصدر نفسه ص ٢٧٦ — ٢٧٩

(٣) انظر :

L.A. Mayer, *Saracenic heraldry*, Oxford 1932, p. 19 sqq.

(٤) القلقشندى ، المصدر المذكور ص ٢٧٤ .

به بعض ملح ويقوم كل منهم فيشرب من ذلك المـاء وينسبه إلى كبيره ؛ وربما اعتنى بذلك بعض الملوك . وقد جرت العادة فى ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحداً من الأمراء أن يكتب له بذلك توقيعاً » .

وهناك كتب عن الفتوة نستطيع أن نعرف منها الألفاظ والتعابير التى كانت تدور فى حلقات الفتيان[١] . وقد كانت هذه الفتوة السلطانية أيام المماليك مرتبطة مثل الفتوة الخلافية زمن الناصر برمى البندق[٢] . ويبدو أن الملك الظاهر أوتى اهتماماً بالرمى ، يدل عليه لقبة « البندق قدارى »، ويخيل أن الاهتمام بالفتوة قد ضعف على توالى الأيام كما ضعف الاهتمام برمى البندق المتصل بهـا[٣] .

* * *

ويخيل أن بعض الميول الدنيا التى كانت خفية فى هذه النقابات قد ظهرت وهيمنت فى عصر انحطاط الفتوة هـذا . مما دفع كبار الفقهاء إلى إنكارها . ومثل هذا الإنكار ظهر من الفقيه الحنبلى ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) ومن تلميذه الفقيه الحنفى ابن بدغين[٤] ، والشافعى ابن الوردى[٥] (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩) الذين قاموا على بعض المنكرات التى دخلت فى نقابة الفتوة .

---

(١) القلقشندى ، المصدر المذكور ، ص ١٤٦ .

(٢) القلقشندى ، المصـدر المذكور ، ص ١٤٦ ، يجعل رماة البندق مع الفتيان . ثم فى ١٢ : ٢٩٦ /مع توقيعات الفتوة .

(٣) القلقشندى ، ١١/٢٥٤ و ٢٦٩ .

(4) J. Schacht, *Zwei neue Qnellen zur Kentjnis der Futuwwa* dans : *Festschrift Georg Jacob,* Leipzig 1932, p. 276-287.

ويبدو أن انكار ابن تيمية كان على بعض أمور فى الفتوة . فى حين أن ابن بدغين كان فى حكمه أشد . (انظر شاخت ، ص ١٨٣ ، حاشية رقم ٥ ، وص ٢٨٧ فى الأعلى) .

(5) I. Goldziher, *Ein Fetwa gegen die Futuwwa*, dans : *Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft* 73, 1919, p. 127 sq.,

وأعيد طبعها فى مطبعة الجوائب . استامبول ١٣٠٠ ، ص ١٥٤ :

والمقالة الصغيرة هى تقريظ مضاف إلى انكار الفتوة لمجهول ، فى مخطوطة استامبول أيا صوفيا ١٩٤٣ .

وأخذت الفتوة تزول شيئاً فشيئاً في الأوساط الرفيعة وبقيت في الأوساط البورجوازية في المدن . حتى أنها أوتيت تفتحاً جديداً في أوساط الصنّاع بأناطولية باسم (آخليق)[١] . ويصف لنا الرحالة ابن بطوطة الذى كان يزور الأناضول حوالى سنة ١٣٣٣ هذه الجمعيات التي يسميها (الأخيّة الفتيان) والتي كان يجدها في كل بلدة في أناطولية .[٢] وأخيراً دخلت الفتوة في أصناف المهن[٣] . وبقيت آثارها ظاهرة إلى آخر القرن التاسع عشر عند ما زالت أصناف المهن في الإسلام .

(1) Franz Taeschner, *Beiträge zur Geschichte der Achis in Anatolien* (*14-15. Jahrhundert*) *auf Grund neuer Quellen*, dans : *Islamica* 4, 1929, p. 1-47 ; le même, *Die Achibünde und ihr Verhältnis zum Nāsirkreis*, dans : *Islamica* 5, 1932, p. 283-325, enfin Fr. Taeschner und W. Schumacher, *Der anatolische Dichter Nāsiri* (*um 1300*) *und sein Futuwetnāme*, Leipzig 1944, où est donné d'autre litterature.

(٢) رحلة ابن بطوطة . طبعة C. Defrêmery et B. R. Sanguinetti, باريس ١٨٧٧ (أعيد طبعها سنة ١٩١٤ ، ص ٢٦٠ — ٢٦٢ . وانظر أحياناً في ص ٢٥٤ — ٣٥٣ .

(3) Bernard Lewis, *The Islamic Guilds*, dans : *Economic History Review* 8, 1937, p. 20-37 ; Franz Taeschner, *Das Zunftwesen in der Türkei*, daus : *Leipziger Vierteljahrsschrift für Südosteuropa* 5, 1941, p. 172-188. Pour les corps de métier de Damas au temps moderne voir Elia Qoudsî, *Notice sur les corporations de Damas*, publ. par Carlo Landberg dans : *Travaux de la VI*e *session du Congrès international des Orientalistes à Leide* II, Leiden 1884, 34 pages.

آثار الأستاذ تيشنر عن الفتوة

1— *Das Futuvvetnāme des Jaḥjā b. Halīl (Le Futuvvetnāmé de Yahyā b. Halīl)*

فتو تنامة ليحيي بن خليل . في مجلة :

dans : Orientalistische Literaturzeitung 31 (1928) 1065/66.

2— *Beiträge zur Geschichte der Achis in Anatolien* (14./15. Jahrhundert) auf Grudd neuer Quellen *(Études sur l'Histoire des Akhis d'Anatolie* (14./15ᵉ siècle) fondées sur des sources nouvelles)

دراسات عن تاريخ الإخوان في الأناضول في القرن الرابع عشر والخامس عشر في :

dans : Islamica 4 (1929) 1-47.

3— *Futuwwa-Studien : die Futuwwabünde in der Türkei und ihre Literatur (Études sur la Futuwwah : les Corporations ne la Futuwwah en Turquie et leur Littérature)*

نقابات الفتوة في تركية وأدبها في :

dans : Islamica 5 (1932) 285-353.

4— *Das Fuûvvetnāme des persischen Dichters Hātifī (Le Futuvvetnāmé du poête persan Hātifī)*

فتو تنامة للشاعر الفارسي هاتفي . في :

dans : Festschrift (Publications dédiés à) Georg Jacob, herausgegeben von (edité par) Theodor Menzel, Leipzig 1932,p. 304-316.

5— *Das Futuvvetkapitel in Gülschehrīs altosmanischer Bearbeitung von 'Aṭṭārs Manṭiq uṭ-ṭayr (Le Chapitre sur la Futuvvet dans la traduction vieille-osmanlie de Gulchehrī du poême persan Manṭiq uṭ-ṭayr de 'Aṭṭār)*

فصل عن الفتوة من منطق الطير للعطار . نشرت في برلين عام ١٩٣٢ .

Berlin 1932, 19 pages.

6— *Die islamischen Futuwwabünde : das Problém ihrer Entstehung und die Grundlinien ihrer Geschichte* (*Les Corporations islamiques de la Futuwwah : le Probléme de leur origine et les Lignes fondamentales de leur Histoire*)

نقابات الفتوة : أصلها ، والخطوط الأساسية فى تاريخها . فى :

dans ; Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellsehaft 87 (1933) 6-49.

7— *Der Anteil des Sufismus an der Formung des Futuwaideals* (*Le rôle du Soufisme dans la formation de l'Idéal futuwwique)*

أثر التصوف فى تكوين المثل الأعلى للفتوة . فى :

dans : Der Islam 24 (1937) 43-74.

8 – *Islamisches Ordensrittertum Zur Zeit der Kreuzzuge (Les Ordres chevaleresques islamiques au temps des Croisades)*

جمعيات الفرسان الإسلامية أيام الصليبيين . فى :

dans : Die Welt als Geschichte 4 (1938) 382-408.

9— *Das Futuwwa-Rittertum des islamischen Mittelaters* (*La chevalerie de Futuwwah au Moyen-âge islamique*)

فروسة الفتوة فى العصر الوسيط الإسلامى . فى :

dans : Beiträge zur Arabistik, Semitistik und Islamwissenschaft, heraugegeben von R. Hartmann und H. Scheel, Leipzig 1944, p. 340–385.

10— *Der anatolische Dichter Nāṣirī* (*um 1300*) *und sein Futuvvetnāme* (*Le poête anatolien Nāṣirī* (*vers 1300*) *et son Futuvvetnāmé*)

الشاعر الأناطولى الناصرى (فى حدود — ١٣٠٠) وفتوتنامه . فى :

Leipzig 1944, VII + 100 pages et 64 pages de texte persan.

11— *Eine Futuwwa-Urkunde des Mamluken-Sultans al-Aschraf Chalīl von 1292* (*Un Document de Futuwwah du Sultan Mamlouk al-Achraf Khalīl de 1292*)

وثيقة عن الفتوة للسلطان الأشرف خليل . فى :

dans : Aus der Geschichte des islamischen Orients, herausgegebe von Fr. Taeschner und G. Jäschke, 1949, p. 1 — 16.

12 — *Das Futwwa-Kapitel in Ibn Ǧa'dawaihis Mir'at al-muruwwāt* (*Le Chapitre de la Futuwwah dans la Mir'āt al-muruwwāt d'Ibn Dja'dawahi*)

فصل الفتوة فى كتاب مرآة المروءات لابن جعدويه . فى :

dans : Documenta islamica inedita, herausgegeben von J. Fück, Berlin 1952, p. 107-119.

13— *As-Sulamī's Kitāb al-Futuwwa* (*Le Kitāb al-Futuwwah d'as-Sulamī*)

كتاب الفتوة للسلمى . فى :

dans : Festschrift Johannes Pedersen, Kopenhagen 1953, p. 351-358.

لجنة التأليف والترجمة والنشر



المنتقى من دراسات المستشرقين

الجزء الأول

دراسات مختلفة

جمعها ونقلها إلى العربية وعلّق عليها

الدكتور صلاح الدّين المنجد

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٩٥٥

الفتوة والخليفة الناصر (*)

المستشرق الألماني فرانز تيشنر F. Taeschner

(*) كتب الأستاذ تيشنر هذه الدراسة للمنتقى باللغة الفرنسية ، ونقلناها منها إلى العربية . والأستاذ تيشنر هو المختص الوحيد بين المستشرقين بالفتوة ومباحثه فيها ذات شأن .